سورة التوبة

٤١٠ ـ قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾.

إن قلت: لم ترك البسملة فيها دون غيرها؟

قلت: لاختلاف الصحابة فى أن «براءة» و«الأنفال» سورتان، أو سورة واحدة، نظراً لأن كلاً منهما نزل فى القتال، فترك بينهما فرجة، عملاً بالأول، وتركت البسملة عملاً بالثانى.

أو لأن البسملة أمان، وبراءة فيها قتل المشركين ومحاربتهم، فلا مناسبة بينهما.

أو لأن الأنفال، لما تضمنت طلب موالاة المؤمنين، بعضهم بعضا، وأن ينقطعوا عن الكفار بالكلية، وكان قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تقريراً وتأكيداً، لذلك تركت البسملة بينهما.

٤١١ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾.

كرره لأن الأول للمكان، والثانى للزمان المذكور قبل، فى قوله تعالى: ﴿فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر﴾.

٤١٢ ـ قوله تعالى: فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ..﴿١١﴾﴾ كرره لاختلاف جزاء الشرط، إذ جزاء الشرط فى الأول، تخلية سبيلهم فى الدنيا، وفى الثانى أخوتهم لنا فى الدين، وهى ليست عين تخليتهم، بل سببها.

---

٤١٠ ـ انظر تفسير الطبرى ١٠/ ٤٢.

٤١٣ ـ قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً .. ﴿٨﴾﴾ ﴿إلا﴾ أى قرابة ﴿ولا ذمة﴾ أى عهدا.

كرر ذلك بإبدال الضمير بـ «مؤمن» فى قوله تعالى: ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ لأن الأول وقع جوابًا لقوله: ﴿وأن يظهروا عليكم﴾ أى الكفار. والثانى وقع إخبارًا عن تقبيح حالهم.

٤١٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ .. ﴿١٢﴾﴾. خص فيه ﴿أئمة الكفر﴾ بالذكر، وهم رؤساء الكفر وقادتهم، لأنهم الأصل فى النكث، والطعن فى الدين.

٤١٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ .. ﴿٣٠﴾﴾ قائل ذلك فى كل منهما بعضهم، لا كلهم، فـ «أل» فيهما للعهد، لا للاستغراق، كما فى قوله تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك﴾ الآية. إذ القائل لها إنما هو جبرائيل عليه السلام.

٤١٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ .. ﴿٣٠﴾﴾. فائدة قوله ﴿بأفواههم﴾ مع أن القول لا يكون إلا بالفم، الإعلام بأن ذلك مجرد قول، لا أصل له، مبالغة فى الرد عليهم.

٤١٧ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ .. ﴿٣٣﴾﴾ الآية.

فائدة ذكر ﴿دين الحق﴾ مع دخوله فى الهدى قبله، بيان شرفه وتعظيمه، كقوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾.

أو أن المراد بالهدى القرآن. وبالدين الإسلام.

٤١٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. ﴿٣٤﴾﴾ أفرد الضمير، مع تقدم اثنين ﴿الذهب والفضة﴾ نظرًا إلى عودة إلى الفضة لقربها، ولأنها أكثر من الذهب.

أو إلى عودة إلى المعنى، لأن المذكور دراهم ودنانير، ونظيره قوله: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾.

٤١٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ .. ﴿٣٦﴾﴾.

إن قلت: لم خص الأربعة الحرم بذلك، مع أن ظلم النفس منهى عنه فى كل زمان؟

قلت: لم يخصها به، إذ الضمير عائد إلى «اثنا عشر شهراً» كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما، لا إلى الأربعة الحرم فقط.

أو خصها به لقربها، أو لمزيد فضلها وحرمتها عندهم فى الجاهلية.

٤٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا .. ﴿٤٤﴾﴾.

أى لا يستأذنونك فى التخلف عن الجهاد.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن كثيراً من المؤمنين، استأذنوه فى ذلك لعذر، أخذاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ .. ﴿٦٢﴾﴾ [النور: ٦٢].

قلت: لا منافاة، لأن ذلك نفى بمعنى النهى كقوله تعالى: ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج﴾ أو هو منسوخ كما قال ابن عباس بقوله: «لم يذهبوا حتى يستأذنوه».

أو المراد أنهم لا يستأذنوه فى ذلك لغير عذر.

٤٢١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

إن قلت: كيف أمرهم بالقعود عن الجهاد، مع أنه ذمهم عليه؟

قلت: إنما أمرهم بذلك أمر توبيخ، كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ بقرينة قوله: ﴿مع القاعدين﴾ أى من النساء، والصبيان، والزمنى، الذين شأنهم القعود فى البيوت.

---

٤١٩ ـ انظر القرطبى والطبرى ١٠/٨٨.

أو الأمر لهم أنما هو الشيطان بالوسوسة، أو بعضهم بعضا.

٤٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ.. ﴿٤٧﴾﴾

فإن قلت: إذا علم الله أن المنافقين، لو خرجوا مع المؤمنين للجهاد، مازادوهم إلا خبالا أى فسادا، ولأوضعوا خلالهم أى لأسرعوا فى السعى بينهم بالنميمة، فكيف أمرهم بالخروج مع المؤمنين؟

قلت: أمرهم بالخروج لإلزامهم الحجة، ولإظهار نفاقهم.

٤٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾. أى كافرين ولو بالنفاق بقرينة قوله ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ .. ﴿٥٤﴾﴾.

٤٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا ..﴿٥٤﴾﴾ قاله هنا بالباء فى المتعاطفين وقاله ثانيًا، وثالثًا بحذفها من المعطوف، لأن ما فى الأول غاية التوكيد بقوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ فأكد المتعاطفين بالباء، ليكون الكلام على نسق واحد، بخلاف الثانى[1] والثالث[2] لم يتقدمهما ذلك.

٤٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ .. ﴿٥٥﴾﴾ الآية. قاله هنا بالفاء وقاله بعد بالواو[3].

لأن الفاء تتضمن معنى الجزاء، والفعل قبلها فى قوله: ﴿ولا يأتون الصلاة﴾ وقوله: ﴿ولا ينفقون﴾ لكونه مستقبلاً، يتضمن معنى الشرط،

---

٤٢٢ ـ انظر تفسير جامع البيان للطبرى ١٠/١٠١.

(١) فى قوله تعالى: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله﴾.

(٢) فى قوله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله﴾.

٤٢٥ ـ راجع متشابه القرآن للقاضى عبدالجبار ١/٣٣٨.

(٣) فى قوله تعالى: ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ [التوبة/ ٨٥].

فناسب فيه الفاء، وما بعد ذكر قبله ﴿كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ والفعل فيهما لكونه ماضيًا، لا يتضمن معنى الشرط، فناسب فيه الواو وقوله: ﴿ولا أولادهم﴾ ذكره هنا بـ ﴿لا﴾ وفيما بعد بدونها لما فى زيادتها هنا من التوكيد المناسب لغاية التوكيد، بالحصر فيما قبلها، وذلك مفقود فيما بعد.

٤٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ..﴿٦٠﴾﴾ الآية.

أضاف فيها الصدقات، إلى الأصناف الأربعة الأولى بلام الملك، وإلى الأربعة الأخيرة بـ «فى» الظرفية، للإشعار بإطلاق الملك فى الأربعة الأولى، وتقييده فى الأخيرة، حتى إذا لم يحصل الصرف فى مصارفها استرجع، بخلافه فى الأول، كما هو مقرر فى الفقه، وكرر فى الأخيرة فى قوله: ﴿وفى سبيل الله﴾ حثًا على الإعانة فى الجهاد لشرفه.

٤٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ..﴿٦١﴾﴾ الآية.

عدى الإيمان إلى الله بالباء، لتضمنه معنى التصديق، ولموافقته ضده وهو الكفر، فى قوله تعالى: ﴿من كفر بالله﴾.

وعداه إلى المؤمنين باللام، لتضمنه معنى الانقياد، وموافقته لكثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧] وقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ..﴾ [البقرة:٧٥] وقوله: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١]؟

وأما قوله تعالى: فى موضع: ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ وفى آخر ﴿آمنتم به﴾ فمشترك الدلالة بين الإيمان بموسى والإيمان بالله، لأن من آمن بموسى حقيقة آمن بالله كعكسه.

---

٤٢٦ ـ راجع الطبرى ١٠/١١٣، والدر المنثور فى التفسيربالمأثور للسيوطى ٣/ ٢٥١.

٤٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا .. ﴿٦٣﴾﴾ خبر عن المنافقين الذين سبق ذكرهم مخلدون فى النار، فلا يشكل بأن المؤمن العاصى لا يخلد فى النار.

٤٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ .. ﴿٦٤﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن إنزال السورة إنما هو على النبى لا عليهم؟

قلت: «على» بمعنى «فى» كما فى قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ..﴾ [البقرة: ١٠٢] أو أن الإنزال هنا بمعنى القراءة عليهم.

فإن قلت: الحذر واقع منهم على إنزال السورة، فكيف قال: ﴿إن الله مخرج ما تحذرون﴾؟

قلت: معناه: أن الله مظهر ماتحذرون ظهوره من نفاقكم، بإنزال هذه السورة، وهو المناسب لقوله: ﴿تنبئهم بما فى قلوبهم﴾ أو مظهر ما تحذرون من إنزال هذه السورة.

فإن قلت: ﴿تنبئهم ما فى قلوبهم﴾ تحصيل الحاصل، لأنهم عالمون به؟

قلت: تنبئهم بأسرارهم، وما كتموه، شائعة ذائعة، وتفضحهم بظهور ما اعتقدوا أنه لا يعرفه غيرهم.

٤٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ .. ﴿٦٧﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف قال ذلك هنا بـ«من» وقال فى قوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ بلفظ ﴿أولياء﴾ مع أن «من» أدل على المجانسة، لاقتضائها البعضية، فكانت بالمؤمنين أولى، لأنهم أشد تجانسًا فى الصفات؟

قلت: المراد بقوله: ﴿بعضهم من بعض﴾ على دين بعض، «من» تأتى بمعنى «على» كما فى قوله تعالى: ﴿ونصرناه من القوم﴾ وقوله: ﴿للذين

يؤلون من نسائهم﴾ أي يحلفون على عدم وطئهن، والمراد بقوله: ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ أنصارهم وأعوانهم فى الدين، وعلى ذلك فكل من اللفظين يصلح مكان الآخر، لكن للولاية شرف، فكانت أولى بالمؤمنات والمؤمنات.

٤٣١ ـ قوله تعالى: ﴿.. أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أى المنافقون والمنافقات حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة، أما حبطها فى الدنيا، فمن حيث كيدهم ومكرهم وخداعهم، التى كانوا يقصدون بها إطفاء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره. وأما حبطها فى الآخرة، فمن حيث أن عبادتهم وطاعاتهم، أتوا بها رياء وسمعة ونفاقًا، فحبطت أعمالهم من الخبيثات المذكورات، حيث لم يحصل بها غرضهم فى الدنيا ولا فى الآخرة. وأما عباداتهم التى تجرى بها أحكام المسلمين عليهم، كحقن دمائهم وأموالهم فينفقون بها فى الدنيا خالصة ولا عبرة به.

٤٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾.

إن قلت: لم خصص الأرض بالذكر، مع أنهم لا ولى لهم فى الأرض ولا فى السماء، ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة؟

قلت: لما كانوا لا يعتقدون الوحدانية، ولا يصدقون بالآخرة، كان اعتقادهم وجود الولى والنصير، مقصورًا على الدنيا، فعبر عنها فى الأرض. أو أراد بالأرض أرض الدنيا والآخرة.

٤٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ..﴿٨٠﴾﴾ الآية.

إن قلت: لم خص السبعين، مع أنهم لا يغفر لهم أصلاً، لقوله تعالى: ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ ولأنهم مشركون، والله لا يغفر أن يشرك به؟

قلت: لأن عادة العرب جرت بضرب المثل فى الأحاد بالسبعة، وفى العشرات بالسبعين، استكثارًا ولا يريدون الحصر.

فإن قلت: لو كان المراد ذلك، لما خفى على أفصح العرب، وأعلمهم بأساليب الكلام، حتى ال لما أنزلت هذه الآية: لأزيدن على السبعين، لعل الله أن يغفر لهم.

قلت: لم يخف عليه ذلك، وإنما أراد بما قال إظهار كمال رأفته، ورحمته بمن بعث إليهم، وفيه لطف بأمته وحث لهم على المراحم، وشفقة بعضهم على بعض، وهذا دأب الأنبياء عليهم السلام، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ ..وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [ابراهيم: ٣٦].

٤٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾. قاله هنا بالبناء للمفعول، وقال بعده: ﴿وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾ بالبناء للفاعل، لأن الأول تقدمه مبنى للمفعول وهو قوله: ﴿وإذا نزلت سورة﴾ والثانى تقدمه ذكر الله مرات، فناسب بناء الأول للمفعول والثانى للفاعل، ليناسب الفاعل ما قبله، ثم ختم كلاً منهما بما يناسبه، فقال فى الأول ﴿لا يفقهون﴾ وفى الثانى: ﴿لا يعلمون﴾ لأن العلم فوق الفقه أى الفهم.

٤٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ .. ﴿٩٤﴾ ﴾ قاله هنا بـ «ثم» بحذف «والمؤمنون». وقاله بعدها بالواو وبذكر ﴿والمؤمنون﴾.

لأن الأول فى المنافقين، ولا يطلع على ضمائرهم إلا الله، ثم رسوله بإطلاع الله إياه عليها. والثانى فى المؤمنين، وطاعاتهم وعباداتهم ظاهرة لله ولرسوله وللمؤمنين، وختم الأول بقوله: ﴿ثم تردون﴾ ليفيد قطعه عما قبله﴾، لأنه وعيد.. وختم الثانى بقوله: ﴿وستردون﴾ ليفيد وصله بما قبله لأنه وعد، فناسب فى الأول ﴿ثم﴾ وحذف ﴿والمؤمنون﴾ وفى الثانى «الواو» وذكر ﴿والمؤمنون﴾.

فإن قلت: السين فى ﴿سيرى الله﴾ للاستقبال، والرؤية بمعنى العلم، والله تعالى عالم بعملهم حالاً ومالاً، فكيف جمع بينهما؟

---

٤٣٤ ـ راجع الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/ ٢٦٦، والطبرى ١٠/ ١٤٣.

قلت: معناه فى حق الله، أنه سيعلمه واقعًا مالاً، كما علمه غير واقع حالاً، لأن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هى عليه، فيعلم الواقع واقعًا، وغير الواقع غير واقع، أما فى حق الرسول فهو على ظاهره.

٤٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ .. ﴿٩٧﴾﴾.

فإن قلت: وصف العرب بأنهم جاهلون بذلك، ينافى صحة الاحتجاج بألفاظهم وأشعارهم، على كتاب الله وسنة نبيه؟

قلت: لا منافاة، إذ وصفهم بالجهل إنما هو فى أحكام القرآن، لا فى ألفاظه، ونحن لا نحتج بلغتهم فى بيان الأحكام، بل فى بيان معانى الألفاظ، لأن القرآن والسنة جاءا بلغتهم.

٤٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ .. ﴿١٠١﴾﴾ الآية، الخطاب لمحمد ﷺ.

فإن قلت: كيف نفى عنه علمه بحال المنافقين هنا، وأثبته فى قوله: ﴿..وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ..﴾ [محمد: ٣٠].

قلت: آية النفى نزلت قبل آية الإثبات فلا تنافى.

٤٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا .. ﴿١٠٢﴾﴾ الآية. أى خلصوا كلاً منهما بالآخر.

٤٣٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

إن قلت: لم عطفه دون ما قبله من الصفات؟

قلت: لأنه وقع بعد سبع صفات، وعادة العرب أن تدخل الواو بعد السبعة.

٤٤٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ..﴿١٢٠﴾﴾ الآية.

قال ذلك هنا، وقال بعد: ﴿إلا كتب لهم﴾ بدون «عمل صالح» لأن ما هنا مشتمل على ما هو من عملهم وهو قوله: ﴿ولا يطئون موطئًا يغيظ الكفار﴾ إلى آخره، وعلى ما ليس من عملهم وهو قوله: ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ﴾ إلى آخره، فتفضل الله بإجرائه مجرى عملهم فى الثواب، فناسب ذلك زيادة قوله: ﴿به عمل صالح﴾ ولهذا عم عقبه فى قوله: ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ وما ذكر فى الآية الثانية، مختص بما هو من عملهم وهو قوله: ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة﴾ إلى آخره، ليكتب لهم ذلك بعينه، ولهذا خصهم عقبه فى قوله: ﴿ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾. وقوله: «أحسن» أى بأحسن، والمراد بحسن عملهم، إذ لا يختص جزاؤهم بأحسن عملهم.. أو المراد ليجزيهم أحسن من الذى كانوا يعملون.

« انتهت سورة التوبة »

****

٤٤٠ ـ راجع فتاوى النووى ص ٢٤٩ والتفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ١٦/ ٢٢٢.